مختصر معجم معالم مكة التأريخية (٣)

عاتق بن غيث البلادي

الرَّدْم:

يسمى ردم بني جُمح، ويسمى ردم بني قُرَاد، قالوا في سبب تسميته: إنّ بني جُمح وبني مُحارِب ـ وكلاهما من قريش ـ قد اقتتلوا بمكة، فردمت بنو جُمح علىٰ قتلاها هناك فسمي بذلك، فقال أحدهم:

سأحبس عَبْرة وأفيض أخرى إذا جـاوزت رَدْم بـني قُـراد

ومساكن بني جُمح كانت في الجانب الجنوبي الغربي من المسجد الحرام، أي يسار من يستقبل الركن اليماني، وكنت كتبت في (معجم معالم مكة) هكذا: قلت: (موضع هذا الردم أول شارع الجودرية مما يلي المعلاه، إذا افترق شارع الجودرية الذي في نهايته المدعى عن شارع الغَزّة فذلك هو الرَّدْم) غير أنه اتضح الآن أن النصوص لا تنطبق علىٰ هذا.

والردوم في مكة كثيرة، منها: ردم آل عبد الله بن أسيد، قرب أذاخر، كانوا

يدفنون موتاهم فيه، وفيه دفن عبد الله بن عمر، زمن تولى الحجاج علىٰ مكة.
وردم الحذائين: كان قرب المروة.

ولم تعد هذه الردوم بالأهمية التي تستحق الاستقصاء والتمحيص، ولكن لمجرد الذكرى، والذي لا يسر في النصوص الجغرافية في تواريخ مكة المكرمة أنها مشوشة، وقد يرد المعلم الواحد في مكانين مختلفين، وقد يحددون بيت فلان، وبالأراكة والمأجل، ونحو ذلك، وهم معذورون، فهم يكتبون في مدينة تتغير المسميات فيها من جيل إلى جيل.

وردوم أخرى، منها: ردم الحزامية، وردم عمر، وردم الزبير، وردم السويقة، وغيرها. وقد أفاض فيها الأزرقي في أخبار مكة.

ريع الرسام: انظر كُدَىً.

ريع الحجون: انظر: الحجون، وكَدَاء.

ريع الكحل: هو الريع الذي يوصل بين وسط العتيبية والزاهر، طريقه من الزاهر فحي العتيبية.

فريع الحجون، ندباً لا عوج فيه.

سَرِف:

بفتح السين وكسر الراء وآخره فاء: وادٍ كبير من روافد مر الظهران، يسيل من جبل أظلم وما حوله، وفيه هناك الجعرانة، ثم ينحدر فيسمى وادي الزاوية، نسبة إلى زاوية أقامها السنوسي هناك وعليها مزرعة، ثم ينحدر فيسمى وادي الوسيعة، وفيه زراعة علىٰ آلات الضخ، ثم يقطعه طريق مكة إلى المدينة شمال مكة علىٰ اثني عشر كيلاً، ثم يصب في مرّ الظَّهْران عند دف خُزَاعة، فيه منهل النوارية على الطريق، وفيه قريتان لقبيلة بني لحيان التي تسمى ديارها اللحيانية،

وهي الأرض الممتدة بين مكة ومر الظهران، وهذا المكان من سرف ـ حيث يقطعه الطريق ـ قد تسور أخيراً، وقامت فيه عمارات بعضها يرتفع عدة طوابق، فصارت مدينة حديثة تسمى النوارية.

وفيه ـ أي حيث يقطعه الطريق ـ قبر السيدة ميمونة بنت الحارث أُمّ المؤمنين، وفي هذا المكان بنى بها رسول الله (ﷺ) سنة سبع للهجرة، ثم ماتت بنفس المكان. ويبلغ وادي سرف «٣٦» كيلاً طولاً، كلّه لقبيلة لحيان.

وفي سرف يقول عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات[١]:

لم تكلِّمْ بالجَلْهتَين الرسومُ! حادث عهد أهلها أم قديمُ؟
سرف منزل لسَلْمةَ، فالظَّهْـ ـــرانُ منازل فالقصيمُ

وقال قيس بن ذَرِيح الكناني[٢]:

الحمد لله قد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا علىٰ سَرِفِ
حي يمانون والبطحاءُ منزلنا هذا لعمرك شكل غير مؤتلفِ
قد كنت آليتُ جهداً لا أفارقها أفٌّ لأكثر ذاك القيلِ والحلفِ
حتىٰ تكنفني الواشون فافتلتت لا تأمَنَنْ أبداً إفلاتَ مُكْتَنَفِ

وقوله: فالقصيم. هكذا نص الأصل، ولا أعلم معناه.

سَلْع مكَّة:

بفتح السين المهملة وسكون اللام، ثم عين مهملة: جبل غير عظيم الارتفاع، يقع شرق مكة يظله العشي جبل الطارقي، ويصفق فيه من الشرق سيل وادي عُرَنة، إذا كنت عند علمي طريق نخلة اليمانية، رأيت سلعاً جنوباً رأي العين، وقبل مدة عثر أحدهم علىٰ نقش في هذا الجبل يعود تاريخه إلى صدر الإسلام، نشرت ذلك مجلة المنهل، ولكن ذلك الباحث سماه «السلوع» وهذا ليس

غريباً فعادة العرب من زمن بعيد تثنية المفرد وجمعه مع ما حوله، إلا أن هذا غالباً في الشعر. وكثير من الناس لا يعرف سوى سلع المدينة، فسلع المدينة شهرته كشهرة المدينة إياها غير أن سَلْعاً هذا غير مجهول ولا خامل الذكر في شهر هذيل.

وهذا البريق الهذلي يقول:

سقى الرحمن حزم ينابعات ... من الجوزاءِ أنواءً غزارا
بمرتجزٍ كأنَّ علىٰ ذُرَاه ... ركاب الشام يحملن البهارا
يحط العُصْم من أكناف شِعرٍ ... ولم يترك بذي سَلْع جمارا

وتجدر الملاحظة أن في فصل الجوزاء التي ذكرها البريق تكثر الأمطار في الحجاز وليس هذا إلا بمشيئة مكون الكون. وسَلْع اليوم من ديار قُرَيش، وحدود الحرم علىٰ جانبه الغربي، فهو كلّه أو جلّه في الحل.

شعْب علي:

الشعاب في مكة كثيرة، ذلك أنها منطقة جبلية، ولذا ضرب بشعابها المثل، فقيل (أهل مكة أدرى بشعابها) ـ والحقيقة أنه ليس كلّ أهل مكة أدرى بشعابها ـ، ولذا فبإمكانك إضافة هذا المثل أيضاً، وقد ذكرنا الكثير منها في المعجم[٣]. هذا الشعب هو الذي لجأ إليه بنو هاشم عندما تحالفت قريش ضدهم، فعرف بشعب بني هاشم، ثم بشعب أبي طالب عندما صار عميد البيت الهاشمي.

ثم اشترى فيه أبو يوسف أخو الحجاج الثقفي بيوتاً فعرف الشعب باسم (شعب أبي يوسف). ثم سمي بعد ذلك شعب علي، وهو اسمه اليوم، وهو منازل بني هاشم قبل النبوة، وقد ولد فيه الرسول الأعظم صلوات الله عليه، وفيه اليوم في موضع المولد الشريف (مكتبة مكة المكرمة)، وإذاً فقد أصبح من أوليات

المواضع التاريخية، وذا اسم بارز في السيرة. يأتي هذا الشعب من بين أبي قبيس عن يساره والخنادم عن يمينه فيصب في بطحاء مكة فيما يعرف اليوم بسوق الليل، فوق المسجد الحرام بما يقرب من ثلاثمائة متر، وكانت بئر بَذَّر ـ بتشديد الذال المعجمة ـ عند مصبه، فدخلت اليوم في توسعة شارع الغزَّة، فدم فمها ولم يبق له رسم.

وكان شعب علي مأهولاً، ومن أشدّ أحياء مكة ازدحاماً، غير أن كلّ بنيانه أزيل سنة ١٤١٠ هـ ليكون من المرافق العامة ومواقف للسيارات بعد التوسعة الجديدة، وبقي مبني مكتبة مكة ماثلاً منفرداً بعد أن نفلت إلى الزاهر تمهيداً لهدم المحل.

إلّا أن مفاهمات أهل الخير حالت دون هدمه، ويقال: إنه مقترح اليوم أن يكون متحفاً لمكة، وسلامات يا سيد الموالد!

ويقول أبو طالب في هذا الشعب معاتباً قريشاً:[٤]

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتَيماً ومَخْزوماً عُقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد ودٍّ وأُلفةٍ جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وربّ البيت نُبْزِي محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما

شِعْب الصُّفَيّ:

كذا ذكره الأزرقي، منسوباً إلى صفي السباب، وسيأتي صفي السباب، وقرنه في مواضع أوجبت إيراد شاهد هو:

إذا ما نزلتم حذو نزاعة الشوى بيوت ابن قطر فاحذروا أيها الركبُ

وهذا الشعب مكانه، والله أعلم، بين البياضية وخطم الحجون مقابل ريع أذاخر من الجنوب الشرقي[٥].

شِعْب ابن عامر:

ذكره الأزرقي حين قال: ولهم ـ بنو أسيد ـ دار الحارث، ودار الحصين اللتان بالمعلاة في سوق ساعة، عند فوهة شعب ابن عامر، والحصين ابن عبد الله بن خالد بن أَسيد.

أقول: وهذاالشعب يطلق عليهاليوم شعبعامر، يصب علىالغَزَّةمقابلمسجد الراية، يأتي من الخنادم. وسوق ساعة الذي ذكر فيه، يعرف اليوم بسوق الزِّلّ، لأن أكثر تجارته في الزل والبسط. وهو منسوب إلى عبد الله بن عامر بن كريز.

شعْب آل قُنْفد (شعبة النور):

قال الأزرقي: شعب آل قنفد: هو الشعب بالذي فيه آل خلف ابن عبد ربه بن السايب مستقبل قصر محمد بن سليمان، وكان يسمى شعب اللئام، وهو قنفد بن زُهَير من بني أسد بن خُزَيمة، وهو الشعب الذي علىٰ يسارك وأنت ذاهب إلى مِنَى من مكة فوق حائط خُـرْمان، وفي هـذا الشـعب مسـجد مـبني يـقال: إن النبيّ (ﷺ) صلى فيه، وينزله اليوم في الموسم الحضارمة[٦]. قلت: هذا الشعب اليوم يسمى الشعبة، وهي تأخذ بسفح جبل المعابدة من الغرب فتمر بينه وبين قرن الغراب[٧] فتصب في الأبطح مقابلة لتـلعة المـلاوي مـن الشمال، ولا يـزال المسجد المنسوب إلى رسول الله قائماً في ذلك الشعب داخلاً بعيداً عـن الطـريق العام يصلّى فيه، ونحن اليوم نسـميها أيـضاً شـعبة الحـرث: لأن الأشراف بـني الحارث ينزلون هذه الشعبة.

الصِّفَاح:

كجمع صفحة، والصفحة تطلق في الحجاز على الأرض البيضاء الملساء،

وهذا الاسم يشهد أنها لغة لهم قديمة أصيلة: أرض خارج حدود الحرم على محجة العراق، إذا خرجت من أنصاب الحرم متجاوزاً ثنية خَلّ سرت فيها، وهي جَرَد أبيض سيله جنوباً إلى المُغَمّس ثم عُرَنة، ويشرف عليها من الشمال جبل السِّتَار ويغذيها بقسم كبير من مياهه. خرج الحُسَين بن عليّ رضي الله عنهما يريد العراق، في خرجته التي قتل فيها، فلقيه الفرزدق الشاعر فعذله ونصحه قائلاً: إن قلوب الناس معك ولكن سيوفهم مع بني أُميّة، ولكن الحُسين ﷺ لم يقبل، فقال الفرزدق:(٨)

لقيتُ الحسينَ بأرضِ الصِّفَاحِ ... عليه اليَلَامقُ والدُّرقُ

وقال ابن مقبل يرثي عثمان بن عفان:

عفا بطحان من سُليمى فيثربُ ... فملقى الرحال من مِنىً فالمُحصَّبُ
فعسفان سرّ السرّ، كلّ ثنية ... بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ
فنعف وداعٍ فالصِّفَاح فمكة ... فليس بها إلّا دماءٌ ومَحْربُ

وقال عمر بن أبي ربيعة:(٩)

قامت تراءى بالصِّفَاحِ كأنّما ... عمداً تريد لنا بذاك ضرار

وتركنا شواهد غير ما ذكرنا للاختصار وقد أفضنا القول عن الصفاح في (معجم معالم الحجاز).

كتب هذا النص سنة ١٤٠٠ هـ ثم ما لبث هذا البياض أن خطط فقامت فيه مدينة حديثة ذات فلل جميلة، ولها بلدية وأسواق، وهي متسعة بحيث دخل بعض المغمس فيها، وسميت (الشرائع الجديدة) وليست من الشرائع في شيء، ولكن المخططين أرادوا اسم الشرائع بشهرته وموسيقاه. فصار لدينا من ضواحي مكة بلد ثلاث تسمى الشرائع: الشرائع القديمة (حنين)(١٠)، وشرائع المجاهدين، والشرائع الجديدة.

عُرَنَة:(١١)

بضم العين المهملة والراء ثم نون فهاء ..

وادٍ من كبار أودية مكة يتكون رأسه من شعبتين يمانية وتسمى البجيدي: وادٍ يلي جبل كبكب من الشمال، فيه نزل وزارعه على الضَّخّ الآلي، وأهله ذوو جازان الأشراف، وبه مركز إمارة يتبع قائمقام العاصمة، وشمالية وهي وادي حُنَين ويعرف اليوم بوادي الشرائع يشترك فيه الأشراف وهُذَيل، وأسفله واقع في حدود قريش، فإذا التقت الشعبتان علىٰ مرءى من عَلَمي طريق نجد شرقاً، سمي الوادي عُرَنة، وكلّه واقع في ديار قريش، وجلّ الأرض التي يسير فيها إلى عرفة تسمى المُغَمّس، ومن روافده: ذو مجاز يأتيه من كبكب، تنظر إليه وأنت عند العلمين المتقدم ذكرهما ولا زالت آثار سوقه ترى بصعوبة.

وقد افضت في تفاصيله في كتابي (أودية مكة) وفيه بحث في مجلة المنهل، ويتجه عُرَنة إلى الجنوب بين كبكب على يساره وجبال مكة علىٰ يمينه، فيمر بطرف عرفة من الغرب حيث يكون نَمِرة بعضه في عُرَنَة (بالنون) وتوهم بعض الباحثين وأهل المناسك أن عُرَنة ـ بالنون ـ هو فقط المكان الذي فيه المسجد .. وهذا خطأ، من أجله توسعنا في وصف عرفة. فإذا تجاوز عرفة ـ بالفاء ـ أخذ جنوباً غربياً فيأتيه من اليسار وادي نَعْمان وفي التقائهما تقع عين العابدية وبعض العامة يطلق اسم وادي العابدية علىٰ وادي نعمان هناك، وقد توقفت عين العابدية الآن، لأن ارتوازات ضربت قريباً منها، فنضب ماؤها. فإذا اجتمع الواديان أطلق اسم عُرَنة ـ بالنون ـ على الوادي كلّه فيمر جنوب مكة علىٰ أحد عشر كيلاً، ويعتبر منذ تجاوزه عرفة حتىٰ جبال لبينات جنوب غربي مكة، حداً للحرم في هذه الناحية الواسعة: ثم يصب في البحر، قال أحدهم:

أبكاكَ دون الشِّعْب من عَرَفَات بمدفع آياتٍ إلى عُرَنَاتٍ

وقيل في أبي الكِنّات المكي المغني:

أحسن الناس فأعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكنّات
حين غَنّى لنا ما شاءَ غناء يهيج لي اللذات
عفت الدار فالهضاب اللواتي بين (توز) فملتقى عُرنَات

ولعل «توز» هنا صوابها «ثور» بالمثلثة وآخره راء.

العَيْرة:

بلفظ أنثى العير: جبل بمكة ينحني عليه المنحنى، بين الحُجُون ومِنىً، يدعه المتجه إلى منى يمينه ويقابله من الشمال جبل شاهق يسمى اليوم جبل العابدة، وكان يعرف بسقر وسمي أبا دُلامة، وقيل كان يسمى العَيْر فيجمع من العيرة السابقة، فيقال: العَيْرتان، ولا يقال العيران، أما العيرة فتعرف اليوم بجبل الشَّيْبي، لبئر حفرها أحد بني شيبة بسفح الجبل من مطلع الشمس، قال الحارث بن خالد المخزومي:

أقوَى من فُطيمة الحَزمُ فالعَيْرتان فأوْحشَ الخَطْمُ

الحزم: مكان غشاه اليوم العمران بظل جبل المعابدة السابق ذكره من مطلع الشمس[١٢]. والخطم: خطم الحجون عندما يكنع في الأبطح[١٣]. والأبطح يسمى اليوم ـ هناك ـ: الخريق، بين الخرمانية إلى مقبرة الحُجُون.

وورد اسم عير في لامية أبي طالب:

وَعَيرٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانه وراقٍ ليَرْقَى في حِراءٍ ونازل

وخاض المتقدّمون في عير هذا وعير المدينة.

انظرهما في الجزء السادس من معجم معالم الحجاز. وقال أحدهم:

إلى بئر مَيْمون إلى العَيْرة التي بها ازدحم الحُجَّاج بين المشاعر

وبئر ميمون كانت قرب الخرمانية، التي أقيم فيها اليوم مبنى أمانة العاصمة، وقد تقدم بحثها بإسهاب.

الهوامش :

(١) معجم البلدان (سرف)
(٢) معجم ما استعجم (سرف)
(٣) معجم معالم الحجاز.
(٤) من قصيدة طويلة في السيرة النبوية.
(٥) وهذا خلاف لما كتبته في مؤلفاتي السابقة إذ تبين لي خطل ذلك القول.
(٦) أخبار مكة ٢ : ٢٨٦.
(٧) كان في النص (صفي السباب) وهذا أصح.
(٨) معجم البلدان (الصفاح)
(٩) ديوانه : ١١٧.
(١٠) انظر: معجم معالم الحجاز.
(١١) انظر تفاصيل أوفي في كتابي (أودية مكة).
(١٢) دخل اليوم في حي الخنساء.
(١٣) هذا الخطم فيما يبدو هو النعف من جبال الخنادم الذي بطرفه راس جسر الحجون، مقابل المقبرة القديمة من الجنوب، وهذا خلاف ما قررته سابقاً، وهذا أصح.